

إنه المكتبة . وهي صغيرة صامتة ، مضاعة وخالية . . . لقد راقته المكتبة ، وسرعان ما طابت فيها نفسه . . . وراح ينظر إلى لوحة أمامه كانت نسخة جيدة من (موت الصديق) للرسام (غرو - Greux) ، تمثل رجلاً هرمياً يلفظ أنفاسه في سريره بين شراشف ناصعة البياض ، ومن حوله الأبناء والأحفاد ، ذكوراً وإناثاً ، يرفعون أذرعهم نحو السماء . كانت الفتيات جميلات وخلجات معاً ، وثيابهن المشعنة توحى بالخلاعة الداغرة أكثر مما توحى بالألم . ويدرك الناظر حالاً أنهم الموضوع الحقيقي للوحة . . . وتساءل حالاً عما إذا كان موته سيكون شبيهاً بهذا ! من المحتمل أن يكون كذلك ، مع فارق واحد هو أن الشراشف ستكون أقل نقاءً من هذا (كان يعرف أن شراشف المختضرين تكون ملوثة دائماً باللعب ، أو البول ، أو بقع الدواء . . .) ولكنه كان يأمل أن تكون ملابس كونيشتا وبارولينا والأخريات أكثر احتشاماً ، أما المجموع فواحد على كل حال . وكما هي العادة كان التفكير بموته يزيده صفاءً بمقدار ما كان يكدره موت الآخرين . أتري كان ذلك لأنه يعتقد أن موته هو في الدرجة الأولى موت العالم بأسره ؟

« ومن هذا انتقل إلى التفكير في أنه كان يجدر به أن يُجرى بعض الإصلاحات في مقبرة الأسرة في دير الكهشيين . من المؤسف أنه لم يعد يُسمح بتعليق الجثث هناك من أعناقها في المدفن لكي يمكن رؤيتها بعدئذ وهي تحف شيئاً فشيئاً كالمومياء . لعل جثته كانت عندئذ تبدو شيئاً عظيماً على الجدار ، بطولها وضخامتها ، تُفزع البنات من رؤية الابتسامة الجامدة في وجهه المتكسح ، وسراويله (البيكيه) البيضاء الطويلة جدًا . ولكن لا ؛ لعلهم سيلبسونه رداءً فاخراً ، بل ربما ألبسوه الفراك الذي يرتديه الآن . . . » .

بعد هذا الموقف ينقطع مجرى الزمن كله ، وتتوقف الأحداث في الرواية إحدى وعشرين سنة ، لكي نعود فنرى الأمير في لحظات احتضاره في الفصل السابع . ثم